المحاضرة الثانية عشرة: نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين

تمهيد:

إن نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين (Two-Step Flow Theory) تعتبر من أبرز النظريات في علوم الإعلام والاتصال، وهي نظرية تركز على كيفية انتقال المعلومات وتأثيرها الغير مباشر على أفراد المجتمع. إذ تمثل هذه النظرية تطورًا لنظريات التأثير السابقة. وقد كانت هذه النظرية نتاجا لجهود العالمين الأمريكين بول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld) ، وإليهو كاتز (Elihu Katz) . حيث قاما بتطويرها أعقاب الدراسة التي قاما بها تحت عنوان اختيار الشعب "The People's Choice"، التي أجرياها خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1940. حيث توصلا في نهاية الدراسة إلى أن الأفراد يتأثرون بالرسائل الإعلامية بطريقة غير مباشرة، من خلال عملية تصفية للرسائل الإعلامية عبر وسطاء فاعلين في المجتمع الأمريكي. مما يعني أن الرسائل الإعلامية تمر أولاً عبر فاعلين اجتماعيين والذين يعرفون بقادة الرأي، والذين يقومون بإعادة صياغة الرسائل الإعلامية في شكل معلومات قبل أن تصل إلى الجمهور النهائي. مما يتدخل بشكل مباشر في تشكيل وتوجيه الآراء عبر تأثير هؤلاء الوسطاء على الأفراد الذين يثقون بهم ويتأثرون بآرائهم.

مسار الرسالة الإعلامية من منظور نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين:

يرى أصحاب نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين أن وسائل الإعلام والاتصال لها تأثير غير مباشر على سلوك جماهيرها. بسب وجود وسطاء اجتماعيين لهم القدرة على التأثير على قرارات وتوجهات جماهير وسائل الإعلام، وهم ما يطلق عليهم بقادة الرأي. وهؤلاء الوسطاء يمكن أن يكونوا أفرادًا في الحياة اليومية للأفراد، مثل الأصدقاء، أفراد في الأسرة، زملاؤه في العمل.

كما يمكن أن يكونوا هؤلاء الوسطاء الاجتماعيون أشخاص في المجتمع يحترمهم أو يعتبرهم البعض المصدر الأول للخبر. ويتلقى الأفراد الرسائل الإعلامية عن طريقهم وعبر مرحلتين رئيسيتين هما:

1. **تلقي الرسالة:** يتلقى الوسيط الاجتماعي الرسالة من وسائل الإعلام، مثل: الصحف أو الراديو أو التلفزيون، ويقوم بتحليلها وتفسيرها.
2. **نقل الرسالة:** بعد تلقي الوسيط الرسالة يقوم بنقلها إلى الجمهور الذي يتأثر به. ويحدث هذا النقل عن طريق المحادثات الشخصية، وقد يرتبط ذلك بتفسير وتوجيه من قبل هذا الوسيط.

وبهذه الطريقة يساهم قادة الرأي داخل المجتمعات في تشكيل التفاعلات الاجتماعية وتوجيه الآراء عبر تأثيرهم على الأفراد الذين يتأثرون بهم. وعليه يبرز هذا النموذج أهمية العوامل الاجتماعية والشخصية في تأثير الإعلام على السلوك والآراء، مما يشير أيضا إلى أن التأثير الاجتماعي يأتي من الفاعلين في المجتمع وهم قادة الرأي الذين يتفاعلون مع الرسائل الإعلامية وينقلونها إلى الأفراد. وبالتالي يمكن تحديد ثلاثة عوامل رئيسية في هذه النظرية يمكنها أن تحد من تأثير وسائل الإعلام وهي:

القدرة على فهم الرسائل: إذا كان لدى الفرد القدرة على فهم الرسائل والمحتوى الإعلامي، فإنه أقل عرضة لتأثير وسائل الإعلام.

القدرة على التحلي بالمقاومة: إذا كان الفرد قادرًا على مقاومة تأثير الرسائل الإعلامية، فإن تأثير رسائل هذه الأخيرة سيكون أقل.

العوامل الاجتماعية والشخصية: تلعب الخلفية الاجتماعية والشخصية للفرد، مثل الثقافة والقيم الاجتماعية دورًا كبيرا في تحديد قوة وشدة تأثير وسائل الإعلام على الأفراد.

فرضيات نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين:

يمكن تلخيص الفرضيات الرئيسية للنظرية كما يلي:

1. **المؤثرون:** هناك مؤثرون داخل المجتمع يؤثرون على كيفية استيعاب الأفراد للرسائل الإعلامية.
2. **التأثير المحدود لوسائل الإعلام:** وسائل الإعلام تؤثر بشكل محدود على الأفراد، لأنها ليست هي المصدر الوحيد للمعلومات.
3. **التفاعل:** تقترح النظرية أن التأثير الحقيقي يحدث عندما يتفاعل المؤثرون الاجتماعيون والأفراد معًا، حيث يتشكل فهم لدى الأشخاص للرسالة الإعلامية بناءً على تأثير المؤثرين الاجتماعين الذين هم قادة الرأي.

و تشير هذه الفرضيات في مجملها إلى أن الاستجابة للرسائل الإعلامية لا تكون نتيجة مباشرة لتأثير وسائل الإعلام، بل تعتمد على تدخل طرف ثالث في العملية الاتصالية وهم قادة الرأي.

أوجه القصور في نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين:

رغم أن نظرية التأثير الانتقائي قدمت إسهامات هامة في فهم تأثير وسائل الإعلام وعن المسار الذي تسلكه الرسائل الإعلامية حتى تصل إلى الفرد، إلا أنها أيضاً واجهت انتقادات من قبل بعض العلماء والباحثين منها:

1. **تجاهل الاختلاف الفردي:** يعتبر البعض أن النظرية لا تعكس بشكل كافٍ التباين في استجابات الأفراد للرسائل الإعلامية، لأن هناك اختلافات فردية تجعل من عملية التأثير الرسائل الإعلامية عملية متفاوتة الأثر على الأفراد.

2. **تبسيط الواقع:** يتهم البعض نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين بتبسيط الواقع وعدم الوضع في الحسبان التعقيد الحقيقي لكيفية نقل الرسائل وتأثيرها على الأفراد.

3. **تحديد دور الوسطاء:** ويرى البعض أن النظرية تقلل من أهمية الفرد نفسه في تلقي وتفسير الرسائل الإعلامية، وتعزز دور الوسطاء بشكل أكبر في العملية الاتصالية.

4. **التغاضي عن الاختلافات الاجتماعية:** تقول بعض الانتقادات أن النظرية لا تأخذ بعين الاعتبار مستوى الاختلافات الاجتماعية والسياقات الثقافية التي يمكن أن تؤثر على الفرد وعلى وسائل الإعلام معاً.

5. **تاريخ الدراسة:** بعض الدراسات التي أُجريت لاحقًا أظهرت أن الوسطاء لا يلعبون دورًا بنفس القدر الذي افترضه الباحثان الأصليان اللذان طورا هذه النظرية.

6. **تجاهل التأثير الإعلامي الكبير:** يتهم البعض نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين بتجاهل أو التقليل من أهمية التأثير الكبير لوسائل الإعلام على الجمهور من خلال معالجة بعض القضايا السياسية والقضايا الاجتماعية الهامة.

7. **تبسيط عملية اختيار المحتوى:** يعتبر البعض أن النظرية بسطت عملية اختيار المحتوى من خلال تجاهلها لتعقيدات العوامل الشخصية والاجتماعية التي تؤثر في اختيار الأفراد للمحتوى الإعلامي.

8. **تجاهل الظروف الاجتماعية والاقتصادية:** يعتبر البعض أن النظرية تتجاهل أيضا تأثير الظروف المحيطة بالفرد والتي قد تعيق قدرته على الوصول إلى وسائل الإعلام وإلى محتواها الإعلامي.

إلا أن الجدير بالذكر أن هذه الانتقادات لا تقلل من قيمة النظرية، وإنما تبرز التحديات والنقاشات المستمرة في مجال دراسة الإعلام وتأثيراته.